

## ٣٠ - المصريون المحدثون

## شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وايم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

## تابع الفصل التاسع - اللغة والأدب والعلوم

يعتقد العرب بالخرافات اعتقاداً عظيماً . ويعد عرب مصر أكثرهم تعلقاً بهذه الاعتقادات الباطلة . وأكثر هذه الخرافات اعتباراً الاعتقاد بالجن . ويقال أن الجن أصلهم سابق على آدم ، ولهم في خصائصهم العامة طبقة من الكائنات تتوسط بين الملائكة والأنس وهل عنهما فضلاً . خلقت الجن من نار وتستطيع أن تتشكل بأشكال الأنس والبهايم والوحوش الخيالية وتختفي عن الأنظار كما تريد . والجن يشربون ويأكلون ويتناسلون مثل البشر أو معهم ، كما أنهم عرضة للموت وإن كانوا يعيشون أجيالاً عديدة . ويسكن الجن سلسلة جبال قاف التي يزعمون أنها تحيط بالأرض جميعها كما ذكر في الفصل السابق . ويستق بعض الجن الإسلام ، والآخرون كفرة . ويسمى هؤلاء الكفرة أيضاً شياطين ويرأسهم إبليس ، إذ أنه تبعاً للرأى السائد ، جنى مثل غيره من الشياطين لأنه خلق من نار بينما خلق الملائكة من نور معصومين من الخطأ

ويخشى العرب الجن أخيارهم وأشرارهم كثيراً . ويحفظون لأخيارهم احتراماً عظيماً . وقد جرت العادة عند هذا الشعب عند ما يصب أحدهم ماء أو غيره على الأرض أن يصيح أو يندم « دستور » مستأذناً أو مستغفراً للجنى الذى قد يوجد هناك . ويظن أن الجن ينتشرون في طبقة الأرض الصلبة مثلما ينتشرون في السماء حيث يقربون من حدود السماء الأولى

فيسترقون السمع عن المستقبل ويستطيعون هكذا أن يساعدوا العرافين والسحرة . ويمتدنون أيضاً أن الجن يمكنون الأنهار والخرائب والآبار والحمامات<sup>(١)</sup> والأقراص<sup>(٢)</sup> والمراحيض . ولذلك عند ما يدخل أحد مرحاضاً أو يدلى دلواً في بئر أو يوجد ناراً الخ . . . يقول « دستور » أو « دستور يا مباركين » . وتلو الداخل بيت الراحة هذه العبارة مبتهلاً إلى الله أن يحميه من الأرواح الشريرة . إلا أن البعض لا يذكرون اسم الله باعتبار أنه لا يليق النطق به في مثل هذا المكان فيكتفون بقولهم : « أعوذ بك من الشياطين ذكوراً وإناثاً » ، وتقر هذه العادات لإحدى قصص ألف ليلة وليلة التي يحكى فيها أن تاجراً قتل جنياً بنواة تمره كان يأكلها . ويظهر الجنى في القصة نفسها وفي غيرها قادمًا في زوبعة من الرمل أو الغبار . والاعتقاد العام عند عرب مصر أن الزوبعة التي تثير الغبار أو الرمال ، وتكسح الحقول والصخارى ، يسبها تخليق هذه الكائنات<sup>(٣)</sup> وضوء المصريون عادة عندما تبدو الزوبعة قريبة منهم بتعميدة لإبادة هافيتف بعضهم : « حديد يا مشثوم » إذ يظنون أن الجن يخافون هذا المعدن كثيراً . ويصيح آخرون : « الله أكبر » . ويمتدنون أن الشهب سهم يقذف به الله الشياطين ، ويصيح المصريون عند ما يرون شهاباً ساقطاً : « سهم الله في عذر الدين » ويسمى العامة الشياطين عفاريت ، وقد وردت في القرآن ذلك بهذا النص : « قال عفريت من الجن » وقد ترجم سيل Sale هذا اللفظ : « قال جن هائل » ، ويمتدنون أن العفاريت يختلفون عن الجن الآخرين بعظيم قدرتهم ودوام شرهم ، ويسمى الشيطان الأقوى ماردا

(١) العادة في مصر أن يرسم للبلون وللحبيون ضلياً على مدخل الحمام إذ يمتدنون أن هنا يتبع الجن من دخوله

(٢) وقد قست ارتفاع زوبعة في مدينة طيبة في ظروف ملائمة ، فقد لاحظت ارتفاعها من مكان طال وقت صهورها بجموعة من التخليل هزتها هزاً عنيفاً ، على بعد منى وقد بلغ ارتفاع الزوبعة سبعة وخمسين قدماً وأظن أنني رأيت زوابع أكثر ارتفاعاً ، وقد قست زوابع أخرى في المكان نفسه نبلغ ارتفاعها بين خمسة وأربعين وسبعمائة

الباب ثم لم يلبث أن عاد . وفي الصباح التالي غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائماً فأعطى القبط نصف الفطيرة التي كان يظفر بها بدلاً من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه إياها . ثم قال له : « يا قطي ، أنت تعلم أنني فقير ، فجنني إذن ييمض الذهب » فاختفى القبط في الحال بعد هذا الكلام ولم يره الشيخ بعد ذلك .  
— والحكايات من هذا النوع تستوجب السخرية ، لكن من المستحيل أن تقف على حقيقة عقلية الشعب التي أحاول وصفه دون أن أسرد حكاية أو أكثر

ويؤكد العامة أن أشرار الجن كثيراً ما يتلون الأسطح والشبابيك ويقذفون بالقراميد والحجارة في الشوارع والأفنية . وقد أخبرت من أيام قليلة بمحادثة من هذا النوع أزعجت سكان أم شارع في القاهرة أسبوعاً بأكمله ، إذ كانت القراميد تهذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة ، ولم يصب أحد .  
— وقد ذهبت إلى مكان هذه العصابة الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء ولكن قيل لي عند وصولي إن الرجم انقطع . ولم أجد أحداً أنكر قذف القراميد أو شك في أنه من أعمال الجن . وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم : « الله يحفظنا من شر أعمالهم »

وقد أخبرني صديق بهنه المناسبة أنه قابل بعض أنجليز لا يمتدنون بوجود الجن . وقد استدلل بذلك على أنهم لم يشاهدوا أبداً تمثيلاً عاماً ، وإن كان منتشرأ في بلادهم التي سمع عنها منذ ذلك الحين باسم « كوميديا » فاصداً بهذه العبارة التمثيل المسرحي ؛ ثم قال بعد أن وجه الكلام إلى أحد مواطنيه ، ودعاني لأصق على حديثه : « منذ زمن قصير وصف لي جزائري منظرأ من هذا النوع كان قد رآه في لندن » ؛ فقاطعه مواطنه سائلاً : « أليست إنجلترا أم لندن مدينة في إنجلترا ؟ » فأجاب صديقي بتحفظ وهو ينظر إلى أن لندن عاصمة إنجلترا ، ثم أوجز موضوع المسرح فقال : « لا يمكن وصف البار التي عرض بها التمثيل : كانت البار مستديرة صفت على أرضيتها مقاعد عديدة وحولها مقصورات كثيرة الواحدة تملو الأخرى حيث جلس أفراد الطبقات العليا ،

يرتبط تاريخ الجن بملء أساطير لم يذكرها القرآن ، ولذلك لا يؤمن بها المسلمون العقلاء . ويتفق الجميع على أن الجن خلقوا قبل الإنسان . إلا أن البعض يقولون لطبقة أخرى من الكائنات السابقة على آدم ذات طبيعة مشابهة . ويمتقد العامة أن الأرض كان يسكنها قبل آدم جنس من المخلوقات يختلف عن البشر شكلاً وقوة ، وأن أربعين ملكاً من هؤلاء ، أو اثنين وسبعين تبعاً لقول آخر ، سمى كل منهم سليمان ، حكموا هذا الشعب تبعاً . وكان أحد هؤلاء السليمانين يسمى جان بن جان . ويتوهم البعض أن الجن ، ويسمون أيضاً جاناً<sup>(١)</sup> ، اشتقوا تسميتهم من اسم هذا الملك . ومن هنا يعتقد البعض أن الجن يشبهون هذا الجنس السابق ولكن البعض يؤكد أن الجن كانوا طبقة من الكائنات مختلفة أخضعها الجنس الآخر .

ويعتقدون أن الجن كثيراً أو دائماً يتشكلون بأشكال القبط والكلاب والحيوانات المفترسة . وقد روى الشيخ خليل المدابني — وهو من أشهر علماء مصر ، وقد ألّف كتباً عديدة في مختلف العلوم وتوفى في سن متقدمة أثناء زيارته الأولى لمصر — الحكاية التالية :  
« كان له — كما يقول — قط أسود عزيز ينام عند ذيل كلبته . ففي منتصف إحدى الليالي سمع طرفاً على باب داره ؛ فقام القبط وفتح مصراع الشباك وفتح : « من ؟ » فأجابه صوت : « أنا فلان (وذكر اسماً غريباً) الجني ، افتح الباب » . فقال قط الشيخ : « إن الزلاج قرئ عليه اسم الله<sup>(٢)</sup> » فقال الآخر : « إذن أذف لي رغيفين من الخبز » فأجاب القبط : « إن سلة الخبز سُمي عليها » فقال الغريب : « حسن . أعطني على الأقل جرة ماء . ولكنه رد عليه بأن وعاء الماء محفوظ بالطريقة نفسها . فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعاً وعطشاً . فأشار عليه القبط أن يذهب إلى باب البار التالية . وذهب هو بنفسه وفتح

(١) ويترى بين الكلاب الجان أقل طبقات الجن قدرة

(٢) وعادة الفقهاء (التأدين والأهياء) أن يسلموا عنه قتل الباب بالزلاج أو تطية الخبز أو خلع اللابن ليلا أو في مناسبات أخرى . وهذا كما يعتقدون يحفظ أموالهم من الجن . وقال للمسيء التي ذكر عليه اسم الله « مسى عليه »

يدمدم ويهتف على السلم كما لو كان دهشاً لحادثة ما . ثم قال بأدب « ولكن لم تجلس في تيار الهواء ؟ تفضل بالصعود إلى المطبخ وسلني بمحدثك قليلاً » . ولما لم يرد على خطابة المؤدب كرره عدة مرات حتى ناديت عليه وسأته إلى من يتحدث . فأجاب : « إنه عفريت جندي تركى صعد من البئر وجلس على السلم يدخلن شبكه ويرفض أن يتحرك . تقدم من فضلك وانظر إليه » . ولما ذهبت إلى السلم وأخبرته أنني لا أرى شيئاً لاحظ أن سبب ذلك صفاء العقل . وقد قيل له فيما بعد إن للزل ظل مسكوناً طويلاً ؛ وقد قرر أنه لم يُخبر قبلاً بهذا الموضوع المزعم أن جندياً تركياً قتل هناك . وقد صرح لى أنه كثيراً ما يرى العفريت بعد ذلك .

ويعتقد المصريون وبمض الشرقيين بوجود النيلان أيضاً .

ويعسبون أن هذه الكائنات طبقة من الشياطين . ويقال

لهم يظهرون في أشكال الحيوانات والوحوش وأنهم يسكنون

المقابر وغيرها من الأماكن المنزلة ، وأنهم يأكلون الجثث

ويقتلون من يوقمه سوء الحظ في طريقهم ويلتهمونه . ومن هنا

تطلق عبارة القول على آكلى لحم البشر

( يتبع )

هدى طاهر نور

وكان هناك فرجة مريبة كبيرة أسدل عليها ستار ، وعند ما غصت الهمار بالمتفرجين الذين دفنوا مبالغ كبيرة للدخول أظلم المكان فجأة وكان الوقت ليلاً ، وكانت الدار قد أضيئت بعدة مصابيح ، إلا أنها أطفئت كلها تقريباً في وقت واحد دون أن يحسب أحد ، ثم رفعت الستارة الكبيرة ، فسمع المشاهدين هدير الموج وصفير الهواء ، ورأوا دون تمييز في الظلام الأمواج ترتفع وتريد وتضرب الشاطئ ، وسمع في الحال صوت رعد مرعب ، ثم أضاء البرق للمشاهدين البحر المائج ، وسقط حينئذ سيل من الطر الحقيقي ، وبسبب ذلك صفا الجو فظهر البحر بوضوح ، وشوهدت باخرتان على بعد اقتربتا ثم اشتبكنا في قتال أطلقت فيها نيران المدافع ، وعرضت بعد ذلك مجموعة مختلفة من المناظر الفريدة ، وأضاف صديقي : « من الواضح الآن أن مثل هذه العجائب لا بد أن تكون من أعمال الجن ، أو على الأقل عملت بمساعدتهم » ؛ وقد شرحت له هذه الظواهر ، ولكنى لم أستطع إقناعه بخطأه

وقال إن الجن يسجنون أثناء شهر رمضان . ومن هنا ترى

بعض المصريات يرششن في وقفة عيد الفطر ملحاً على أرض

الغرف بمسلمات لمنع هذه الفزعات من دخول منازلهن . ويجب

أن أشير هنا إلى بقية مجيبة من خرافة مصرية قديمة إذ يعتقدون أن

لكل حي من أحياء القاهرة طرساً خاصاً من الجن ذا شكل أفسى

ويعتقدون أن القبور للمصرية القديمة والمياكل المظلمة

تسكنها العفاريت . وقد استحال على أن أفتح أحد خدعى بدخول

الهرم الأكبر مى لرسوخ هذه الفكرة في ذهنه . ونسب الكثير

من العرب بناء الأهرام والآثار المصرية المدهشة جميعها إلى

جان بن جان وأتباعه الجن . فهم لا يتصورون أن قيم هذه الآثار

يد بشر

وتطلق عبارة عفريت بالحرى على الشيطان ، إلا أن أرواح

الأموات تسمى أيضاً بهذا الإسم . وينسج من هذه حكايات

لا يخلها النقل كما أنها تلقى في النفوس رعباً هائلاً . إلا أن هناك

من لا يخشاهم إطلاقاً . وكان في خدمتى طاه مضحك يتماطى

الحشيش أحياناً . وقد سمته ذات ليلة ، بسيد دخوله خدمتى ،

### جلس صربية التوفية

يلرح في المناقصة العامة نوريد

٤٢٥ رزمة ورق طبع أبيض لعمل

كراسات . وقدم الطلبات على ورقة

دمعة وتحدد ظهر يوم السبت ١٨ أبريل

سنة ١٩٤٢ آخر ميخاد لقبول العطاءات